قصّة موسى

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

كان فرعون على عرش مصر يتمتَّع بالقسوة والجبر، ويظنُّ أن لا أحد أكبر منه في العظمة والملك.

وقَرَّبَ إليه السحرة والمشعوذين، وصادف أن قال له أحدهم يوماً: أن نهايته ستكون على يد مولود من بني إسرائيل يولد حديثاً. فما كان منه إلَّا أن نشر رجاله بين هؤلاء ليأتوه بخبر كل مولود ذَكَر يُولد لهم، فكان يأمر بقتله.

وقدَّر الله أن تحمل أم موسى بموسى، ولكنَّها خافت أثناء حملها على مولودها القتل إن كان ذكراً شأن الأولاد الآخرين من بني إسرائيل. فلما شعرت بحملها توارت عن الأنظار حتى لا يفطن إليها أحد ويشعر بها جواسيس فرعون المنتشرين في كل مكان.

وجاءت لحظة الوضع، وإذا بها تضع ولداً ذكراً، فخافت عليه وحجبته عن الناس. فثبَّتها الله وألهمها إن خافت عليه، أن تضعه في صندوق وتلقي به في نهر النيل، ذلك أن بقاءه عندها يؤدِّي به إلى الموت، وإلقاءه في النهر فيه أمل لحياته. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1] [القصص: 7].

---

(1) وفي هذه الآية إعجاز بليغ لاشتمالها على: أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين. =

فامتثلت أم موسى لأمر ربِّها وجهَّزت صندوقاً خشبياً صغيراً ووضعت موسى بداخله، بعد أن أرضعته رضعة كبيرة مشبعة؛ لأنَّه سيبقى وقتاً طويلاً لا يعلمه إلا الله حتى يأكل مجدداً.

وألقت أم موسى الصندوق في الماء وقالت لأخته: راقبي الصندوق عن بعد كي لا يعلم بأمرك أحد من جند فرعون.

وسار الصندوق في بحر النيل، وتبعته أخته عن بعد، وإذا بها تفاجأ بزوجة فرعون ترى الصندوق وتأمر الخدم بإحضاره إليها لترى ما فيه.

وجاؤوها بالصندوق وإذا بها ترى رضيعاً بداخله، فسرت به. وما أن رآه فرعون حتى كاد أن يقتله، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9]. وهكذا امتثل فرعون لرغبة زوجته ولم يأمر بقتل الطفل. وجاع موسى الرضيع فاحتارت بأمره زوجة فرعون وطلبت له المراضع، وكلَّما أتته واحدة رفض ثديها. مما شجع أخته الواقفة بعيداً والتي ترقب ما يجري أن تقترب وتدلَّ على مرضعة جيدة له . . . هي أمُّها. وكادت تطير من الفرح حينما طُلِبَ منها أن تأتي بتلك المرضعة، فذهبت على عجل وهي تكتم قرابتها للطفل عن الجميع، وزفَّتِ البشرى لأمها.

وجاءت الأمُّ على أنَّها مرضعة غريبة تحاول إرضاع الصبي. وما كادت تضعه على ثديها حتى سكن روعه وروع أمِّه وتحقَّق وعد الله لها

= والأمرين هما: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، ﴿فَأَلْقِيهِ﴾. والنهيين هما: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾، ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾.

والخبرين هما: خبر موسى، وأم موسى. والبشارتين هما: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

بأنه سيردُّه لها. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: 12-13].

موسى يدفع فرعونيًا:

وكبر موسى ونشأ وترعرع في بيت فرعون، ولما أصبح شابًا حباه الله بالشجاعة والقوَّة والمروءة إلخ.. ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: 14].

وقدَّر الله أن يمشي موسى يوماً في المدينة، فإذا به يرى اثنين يتعاركان، الأول من شيعته والثاني من شيعة فرعون. فاستنجد به الذي من بني إسرائيل، فما كان منه إلَّا أن حاول الفصل بينهما برفق ودفع الفرعوني دفعاً خفيفاً فمات. ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: 15].

فخاف موسى وتبرَّأ من القتل الخطأ، لأنه لم يقصد قتله. عند ذلك استغفر ربه وتوارى عن الأنظار ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: 16-17].

وفي اليوم التالي، وبينما موسى يمشي مترقِّباً حذراً، فإذا به يرى اثنين يتعاركان، الأول من شيعته والآخر من شيعة فرعون، وهو الذي كان بالأمس يقتتل مع الفرعوني الذي دفعه موسى فقُتل على الفور. وهنا

استنجد به مرة ثانية فوبَّخه على أنه كثير المشاكل. عندها قال له: أتريد قتلي كما قتلت نفساً بالأمس؟!.

أنت جبَّار وتتجبَّر على خلق الله ولا تصلح بين المتخاصمين.
﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 18 - 19].

فتراجع موسى وتذكَّر وعده ربَّه أن لا ينصر ظالماً. وفي هذه الأثناء، إذا برجل يأتي مسرعاً إلى موسى من أقصى المدينة يخبره أن خبر موت الفرعوني شاع في المدينة، وأن جنود فرعون يبحثون عنه في كل مكان لإلقاء القبض عليه. وأشار عليه بالهرب من المدينة بأسرع ما يمكن
﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: 20].

فامتثل أمره وترك المدينة على حذر ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 21].

ونجَّاه الله من فرعون وجنده واستطاع الهرب والإفلات منهم، وهام على وجهه... إلى أين يسير؟

لا يدري! ... وهو المسافر من دون غذاء... أو ماء... ومن دون أي زاد.

قرَّر موسى أن يتَّجه تلقاء مَدْيَن، ووصل إليها بعد مسيرة ثمانية أيام بلياليها، وتقع بين الشام والحجاز بجانب العقبة.

موسى في مدين:

وصل موسى إلى مَدين وقد بلغ منه الجهد كل مأخذ. فهو لم يأكل منذ ثمانية أيام، ولم يدخل معدته ما يسد به رمقه من الجوع والعطش، سوى بعض أوراق الشجر التي رآها أثناء الطريق.

وأخيراً وصل إلى مكان ماء في أرض مدين فشرب وغسل وجهه وجلس تحت شجرة يستريح من عناء سفره. وشارف النهار على نهايته. وإذا به يرى الرعاة يقتربون بقطعان ماشيتهم إلى الماء لسقايتهم قبل المغيب. وبينما هو ينظر إذا به يرى امرأتين تقفان جانباً أمام قطيع ماشيتهما. فبادرهما بالسؤال عمَّا بهما فقالتا: إننا ننتظر حتى ينتهي الرعاة من الماء لنسقي ماشيتنا.

فقال: لماذا أنتما اللتان تفعلان ذلك؟ والأوْلَى أن يقوم بهذا العمل الرجال عادة وليس النساء.

فأجابتا: إن أبانا شيخ كبير لا يقدر على القيام بهذا العمل وهذا ما دفعنا للقيام به. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: 22 - 23].

فما كان منه إلا أن أخذته الغيرة والشجاعة مع ما ألمَّ به من الجوع والتعب. فذهب وقام بسقاية ماشيتهما قبل الرعاة الآخرين، مما دفعهما للانصراف باكراً.

ثم جلس يستريح وناشد ربَّ العزَّة أن يرزقه أي شيء يأكله، لأنَّه

بحاجة شديدة للطعام ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24].

أما المرأتان فما إن وصلتا إلى أبيهما حتى استغرب وصولهما المبكر، واستفسر عن ذلك فأخبرتاه عن أمرهما مع موسى، فقال الأب لإحداهما: اذهبي إليه وادعيه لأعطيه أجر السقاية. فامتثلت لأمر أبيها، وجاءت إلى موسى خجلى منه وهي تكلِّمه. وطلبت منه أن يذهب معها إلى أبيها ليعطيه أجر السقاية ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: 25].

وذهب موسى برفقتها، علماً أنه من عادة الرسل والكرام أن لا يأخذوا أجراً على معروف يقومون به. وما كان ذهاب موسى إلَّا من باب الأدب وربما فتح الله له بشيء يريده.

فذهب يمشي خلفها وإذا بهواء يَهُبّ يكشف عن كعب رجلها، فما كان منه إلَّا أن قال للمرأة أنه سيمشي أمامها، وتمشي خلفه، وتدلُّه على الطريق يميناً ويساراً كلَّما أخطأ. وما كان تصرفه إلا حماية لها ولنفسه كي لا يرى منها شيئاً، وهذا من شيم الكرام، وهذا ما تأمر به الرسالات السماوية من غضِّ البصر.

وما إن وصل إلى بيت والدها، إذا به يرى شيخاً كبيراً يجلس في زاوية البيت قد تهيأ للطعام، وما كاد موسى يصل حتى بادره الشيخ قائلاً: تفضَّل للعشاء.

فامتنع وهو الجائع، وخاف أن يكون ذلك أجراً لسقاية الماشية. ولكن الشيخ طمأن موسى أن ذلك من عادة أهل البيت، أن يقدِّموا لضيوفهم ما تيسَّر لديهم من مؤونة. حينئذ جلس وأكل مع الشيخ، وبينما

هما يتحادثان إذا بإحدى المرأتين تقول لأبيها: أن يستأجره ليستريحا من رعي الماشية.

وطالت الجلسة حتى استراح موسى واطمأن للشيخ، وأخبره بقصته وموت الفرعوني وهروبه خوفاً من فرعون وجنده. فقال له الشيخ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25] إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

بعد ذلك رأى الشيخ في موسى صفات لم تتوافر في كثير من الناس من حيث الشجاعة والمروءة وغيرته على النساء، ومن مشيه أمام ابنته وغضّ بصره إلخ..

فعرض عليه أن يزوّجه إحدى ابنتيه على أن يمكث عند الشيخ في أرض مدين ثماني سنوات أو عشر سنوات يقوم بخدمة الشيخ ومواشيه، على أن يكون هذا الأمر مهراً لابنته. فقبل موسى ذلك وتزوّج من إحداهما ومكث في أرض مدين حتى استوفى وعده للشيخ. وقرّر العودة بأهله إلى مصر. ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: 26 - 28].

كلام الله عبده موسى:

وَدَّعَ موسى الشيخ، وسار برفقة أهله إلى أرض مصر، بعد أن أعطاه الشيخ عدداً من الماشية يستعين بها على الحياة. وسار بأهله يريد أرض

مصر. وبعد أن قطع مسافة كبيرة، فَقَدَ الطريق الموصلة إلى مصر بسبب شدة الظلام ورأى ناراً عن بعد، وظنَّ أنَّه يجد عندها من يدلُّه على الطريق ويعطيه ناراً يتدفَّأ بها في الليلة الباردة. فقال لأهله: ابقوا مكانكم حتى آتي إلى مكان النار لعلي أستطيع أن أجلب لكم بعضاً منها.

وسار إلى حيث النار... إلى جبل الطور... وما إن وصل حتى تعجب ... لم ير أحداً من الناس... ولم يجد سوى شجرة شديدة الخضرة... وعليها نار عجيبة... منظر غريب... لا النار تأكل الشجرة... ولا الشجرة تحترق بهذه النار.

وبينما هو يتأمَّل ما يرى، إذا به يُنادى: يا موسى... ولكن من هذا الذي يناديه ولم يكن بتلك البقعة إنسانٌ البتة!.

وإذا به يُنَادَى من جميع الجهات ولا يرى منادياً. فتفكَّر في نفسه وتأمَّل فوجد الجواب من ربِّ العالمين ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 11-14].

وأخذته المفاجأة والدهشة، إنَّ الله اصطفاه ليكون كليمه، وأبلغه أنَّه يكون مرسلاً إلى فرعون وقومه، ومؤيَّداً بآيات بيِّنات ليؤمنوا بأنَّه مرسل من عند الحقِّ.

ولكن ما تلك الآيات يا ترى؟

أمر الحقُّ عبده موسى أن يلقي عصاه التي يحملها دائماً، فرماها فإذا هي تهتزُّ، فخاف منها وحسبها جانٌّ[1]. وترك المكان وولَّى هارباً، وإذا

(1) جانٌّ: أحد أنواع الحيات السريعة، وشُبِّهَتْ بالجنِّ لخفة حركتها وسرعتها.

بالحقِّ يناديه مجدَّداً، ويدعوه للعودة ويطمئنه بأن لا يخف، وأنَّه من الآمنين. ونظر إلى العصا فإذا بها تنقلب حيَّة بإذن الله. وطلب منه الله أن يمدَّ يده ويأخذها فتعود عصا بيده بإذن الله. فتناولها وعادت إلى سيرتها الأولى.

بعد ذلك، وفي هذا المكان المهيب أمر الله موسى أن يضع يده في جيبه[1]، فإذا به يخرجها بيضاء من غير سوء[2]. ثم أمره أن يضعها في جيبه مرة أخرى تخرج كعادتها الأولى بإذن الله.

ثم أمره الحقُّ تبارك وتعالى بالذهاب إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى الله، وأن يطلب من فرعون أن يُخرج بني إسرائيل من أرض مصر ليخلِّصهم من رقِّ العبودية والذلِّ والهوان الذي لاقوه من فرعون وقومه.

حينئذ تذكَّر موسى أنه قتل نفساً من هؤلاء القوم، وخاف أن يقتصُّوا منه ويقتلوه حين فرَّ هارباً من أرض مصر إلى أرض مدين. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: 33]. قال ذلك لا ليعتذر أو يتقاعس، ولكن ليحتاط للدعوة، ويطمئنَّ إلى مضيِّها في طريقها، وهو الحرص اللائق بموسى.

وتذكَّر أخاه هارون بأنه أفصح منه بالتعبير، فطلب من الله أن يكون بجانبه بهذه المهمَّة الصعبة، خشية أن يكذِّبه القوم إذا ما ذهب إليهم. فأجابه الله إلى طلبه، وطمأنه بأنَّه وأخوه يمشيان برعاية الله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى

(1) جيب: فتحة الصدر.
(2) من غير سوء: ناصعة البياض من غير مرض.

ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ [القصص: 29 - 35].

وكان ذهاب موسى إلى جبل الطور في أوّل أمره ليأتي ببعض النار لأهله... فأتى بالنور لأهله وقومه. فأصبح نبيًّا يوحى إليه وكليماً يكلّمه ربُّ العالمين بلا واسطة من وراء حجاب.

ذهب رجلاً عادياً... وعاد نبيًّا... فقد اصطفاه الحقُّ ليكون كليمه ورسوله إلى فرعون المتكبِّر الجبَّار.

وحَمَّلَه الحقُّ آيات بيِّنات، تصديقاً له على ما سيقوله بحضرة فرعون وشعبه. ومؤيِّداً برفقة أخيه لتنفيذ أمر هذه المهمَّة الصعبة. ومطالباً إيَّاه بإخراج بني إسرائيل من مصر.

موسى بحضرة فرعون:

أكمل موسى طريقه إلى أرض الكِنانة، إلى مصر. وذهب أولاً إلى أهله بعد هذا الغياب الطويل، والتقى بأخيه هارون وعانقه عناق الأحباب بعد انقضاء هذه المدَّة الطويلة. وأخبره بما لاقاه في سفره، من حين تركه أرض مصر، إلى حين عودته، ونزول الرسالة عليه، وأنَّ عليه مناصرته عند فرعون.

لبَّى هارون نداء الله ليكون بجانب أخيه، وبعد أن استراح موسى من عناء السفر توجه برفقة أخيه لملاقاة فرعون. وقد أوصى الله موسى وأخاه هارون أن يستعملا لين الكلام مع فرعون، عسى أن يلين قلبه، ويرى آيات ربه فيؤمن، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44].

ودخل الاثنان إلى البلاط الملكي، وإذا بفرعون جالس على عرشه وبجانبه بطانته المقربين من الأسرة المالكة ومن أعيان البلد.

وإذا بموسى يدعو فرعون إلى أمر عجيب... لم يرق لفرعون... إنَّه يدعوه ومن معه... إلى عبادة الله الواحد... وهذا موسى الذي قتل منهم نفساً بالأمس... يأتي إلى فرعون... دون خوف من نزول العقاب عليه... وبدلاً من أن يدعو فرعون أن يسامحه على ما اقترف من ذنب... إذا به يأتي بدعوة جديدة... يدعوه إلى عبادة الله.

وبدأت المناقشة بين الفريقين، وقال موسى أمام الناس الموجودين بحضرة فرعون: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف: 46]. ولم ينته كلام موسى عند هذا الحد؛ بل إنَّه قال لفرعون: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105].

هنا تعجَّب فرعون من كل ما يدعوه إليه موسى الذي كان بصحة

أخيه هارون. ولم يرق هذا الكلام لفرعون واعتبره إهانة كبيرة بحقّه، وقام بتذكير موسى بأنه قد منَّ عليه بأن ربَّاه في القصر الملكي، وبدلاً من أن يشكره قام بقتل نفس من شيعة فرعون. و﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء: 18-19].

وإذا برسول الله موسى يردُّ على تساؤل فرعون و﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: 20 - 22].

وتستمرُّ المحاورة بين فرعون المَلِك المتكبِّر والنبيِّ الرسول، ساعتئذٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 23-33].

وكانت هذه المفاجأة عظيمة لفرعون ومَلَئِهِ، فالعصا تنقلب ثعباناً، ويده السمراء تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء، وإذا أعادها إلى جيبه عادت إلى لونها الطبيعي الأوَّل كما كانت.

حينئذٍ أحسَّ فرعون بعِظَم المعجزة، ولكي يدرأ عن الناس العجب: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: 34-35].

وبدأ التشاور بين فرعون وحاشيته، الذين وقفوا مع فرعون وقفة باطل أمام الحقّ الذي جاء به موسى من البيّنات من عند الله. وبعد المشاورة فيما بينهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ[1] وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: 109 - 112].

يوم الزينة:

اتفق الجميع على أن يكون يوم اللقاء يوم عيد الزينة، وهو من أضخم الأعياد عند المصريين، للاقتصاص من موسى ومن معه، كما يزعم فرعون ومن ناصره.

وأرسل فرعون رسله إلى الناس في المدن والقرى والأقاليم، للحضور يوم الزينة، للالتقاء بموسى وما جاء به من سحر بزعمه. وأن كل من يكون بارعاً في السحر عليه المشاركة في هذا اللقاء ليتحدى ما جاء به موسى.

وسُرَّ كل من له خبرة في هذا المجال بذلك، وبدأت الاستعدادات، وعمل السحرة كل ما في وسعهم لهذا اللقاء غير العادي.

وجاء يوم الزينة، واجتمع السحرة أمام فرعون في الساحة الكبيرة التي أعدَّت خصّيصاً لهذا اليوم المشهود. وتقدَّم السحرة من فرعون و﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: 113-114].

---

(1) أرجه: أخّر، أجّل.

فَسُرَّ هؤلاء كثيراً بذلك؛ لأن أغلب الأعمال كانت سخرة، فهم سيحظون بالمال الوفير... ويكونون بقرب من الحظوة الملكية... من فرعون زمانه... ملك مصر ... ومن يَحْظَ بذلك العزِّ يكن له مكانة عالية.

وفي هذا الموقف المهيب، بدأ اللقاء بين السحرة وموسى بحضرة فرعون والناس شهود. والتفت السحرة إلى موسى وكانوا متأدِّبين معه وقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ [طه: 65].

فلما تواضعوا له قدَّمهم على نفسه، رجاء أن يصير ذلك التواضع سبباً لقبول الحقِّ فكان ذلك سبب إيمانهم.

وإذا بموسى ينظر إلى السحرة نظرة الواثق بربِّه ويقول لهم: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ [يونس: 80].

فلما ألقوا حبالهم وعصيَّهم، ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: 81].

وابتدأ السحرة بالسحر بعد أن وافق موسى، ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: 44].

﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: 116].

هنا قَلِقَتْ نفس موسى من هذا السحر الهائل الذي جاءوا به، ولكن الله ثبَّته بأنَّه على الحقِّ، و﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه: 66-69].

هنا استرجع موسى رباطة جأشه، وثبت في هذا الموقف الرهيب، وما أن انتهى السحرة من عرض سحرهم، حتى خيَّل إليهم أن النصر حليفهم. وإذا بموسى يلقي عصاه، فإذا هي ثعبان رهيب يتحرَّك بقدرة القادر. وإذا بالحيَّة الرهيبة تأكل جميع ما عمله السحرة من العصيِّ والحبال. هنا علم السحرة المهرة بهذا العلم، أن ما جاء به موسى ليس بسحر؛ بل هو أمر خارق للعادة. إنَّها معجزة من السماء وليس في الأرض من يستطيع أن يأتي بما جاء به موسى.

وأيقنوا أن ما يدعو إليه موسى حقٌّ، وأن دعوته لوحدانيَّة الله حقٌّ. فما كان منهم أمام كل ما رأوه بأعينهم إلا أن خرُّوا سُجَّداً لله ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: 46 - 48].

سجد السحرة لله وتركوا عرض الدنيا الذي كان أمامهم من أنَّ لهم المال الوفير إذا كان النصر حليفهم، وأنَّهم سيكونون مقرَّبين من فرعون. وهذا ما يتمناه كثير من الناس. ولكن أمام الحقِّ والباطل كانوا أوَّل من ناصر الحقَّ وسجدوا لله.

فماذا كان موقف فرعون منهم ؟.

استعرض طغيانه أمام هذه الجماهير، وأراد أن يتظاهر بموقف القويِّ، و﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 49 - 51].

فهؤلاء السحرة كانوا من أوّل النهار سحرة، فصاروا من آخره

شهداء بررة، واستعانوا بالله على كيد فرعون وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126].

وعندما اشتدَّ غيظ فرعون من حجَّة موسى بالآيات البيِّنات التي أتى بها. قرَّر أن يتخلَّص منه عندما عقد مع الملأ مؤتمراً للفتك به، وناصره بعض أعوانه وقال محرِّضاً له على الفتك ببني إسرائيل وموسى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

فتشجَّع فرعون وقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر: 26].

وبعد هذا الموقف المهيب صار خبر فرعون وموسى حديث الناس، فخاف فرعون وحزبه على ملكهم فشرعوا يقتلون الأولاد ويبقون النساء ليستخدموهم. فما كان من فرعون ومن أعوانه من أصحاب السلطة، إلَّا أن أشاعوا القتل في المؤمنين. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 25-27].

و﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: 29].

ففوجئ برجل من الفراعنة يعارضه قائلاً: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: 28-29].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 30 - 31].

وعاد الرجل يعقّب على كلام فرعون ويحذّره من غضب الله وبطشه، وبما حدث لغيره من الطغاة العتاة، وتمادى قومه وجهدوا أن يردُّوه إلى دين قومه، فلامهم على أنّه يريد بهم السعادة، وهم يريدون له الشقاء الدائم. فهو يدعوهم إلى الإيمان، وهم يدعونه إلى الكفر بالله تعالى. ثم أعلن أنّه أبرأ ذمته في نصحه لهم، وقال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 44]. فحماه الله ونجّاه من كيد فرعون ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45]. والظاهر أنّه نجا مع بني إسرائيل.

وكان فيمن آمن من آل فرعون زوجته التي ذكرها الله في القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

فنجّاها الله بما حباها من حبٍّ صادق للطفل موسى وحرصها على بقائه حيًّا، وشفاعتها فيه: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: 9].

ولعلها خوّفت زوجها فهاب أن يقتل موسى بعدما سمع من مؤمن آل فرعون فقرَّر أن يتحقَّق بنفسه من وجود إله موسى.

فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: 36 - 37].

ويُروى أنه جمع له العمَّال والفَعَلَة، ولم يترك أحداً ممن يعمل في هذا الحقل إلا جمعه لبنائه، حتى اجتمع لبنائه خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجرَّ والجصَّ، ويتَّخذ الخشب والأبواب والمسامير، فلم يزل يبني الصرح، ويسَّر الله تعالى له أمره، استدراجاً له منه، وأتاه الأمر على ما يريده إلى أن فرغ منه في سبع سنين، فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السمٰوات والأرض، فشقَّ ذلك على موسى فأوحى الله إليه: أن دعه وما يريد، فإنِّي مستدرجه وآخذه بغتة، وإنِّي مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة، فلما أتم بناءه بعث الله جبريل، فضرب بجناحه الصرح ضربة دمرته عن آخره..

تأييد موسى بالمعجزات:

تمادى فرعون ووزيره هامان ومن معهما من الجند والأتباع في الظلم والفساد في الأرض بغير الحقِّ. وأمرَ الناس باتِّباعه فيما يراه مناسباً لا فيما يظهر من الحق.

ولما لم يذعن فرعون لأمر الله، بتسليم بني إسرائيل لموسى. سلط الله على المصريِّين أنواعاً من البلاء لعلَّهم يرجعون ويعرفون الحقَّ فيؤمنوا لموسى ويرسلوا معه بني إسرائيل.

فأرسل الله عليهم الطوفان يصيب أرض الفراعنة ولا يؤثِّر على أرض العبريين. وكان الماء ينبع في أرض الفراعنة فيفسدها.

فطلبوا إلى موسى أن يرفع الله عنهم هذا البلاء، ووعدوه أن يجيبوا طلبه.

فلما رُفِعَ الطوفان عنهم عادوا كما كانوا.

فأرسل الله عليهم الجراد يصيب الفراعنة ولا يصيب قوم موسى.

فعادوا إلى موسى يسألونه رفع العذاب، فلما رُفِعَ عادوا إلى باطلهم.

فأرسل الله عليهم القُمَّل يصيب أرض الفراعنة ولا يصيب العبريِّين.

فاستغاثوا بموسى . ولمَّا رُفِعَ البلاء عنهم نكثوا عهدهم كما في المرَّات السابقة.

فأرسل الله عليهم الضفادع تهلكهم. فعادوا إلى موسى يطلبون مساعدته. ولما رفع الله عنهم البلاء عادوا إلى باطلهم.

فأرسل عليهم الدم، فينقلب الماء دماً في فم الفرعونيِّ عندما يشرب، بينما يشربه قوم موسى ماءً صافياً.

فعادوا إلى موسى يستنجدون به. فلما رُفِعَ عنهم لم يَفُوا بوعدهم.

وكانت هذه أدلَّةً حِسِيَّةً على صدق موسى.

فلم يبق إلا أن ينتقم الله منهم فيغرقهم في البحر ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 132-136].

غرق فرعون وجنده:

أمر الله موسى وأخاه هارون أن يهيِّؤوا قومهم للخروج من مصر بالاجتماع أولاً في بيوت متجاورة ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 87].

فلما اجتمعوا وحان وقت الخروج، أرادوا أن يأخذوا من آل فرعون بعض أموالهم وحليِّهم كأجرةٍ على ما عملوا في أيام حياتهم في مصر.

ثم أُمروا بالخروج وعلم فرعون من جواسيسه بخروجهم فأراد اللحاق بهم، وقال لمن حوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: 54]، ولم يعلم أن ساعة موته قد أزفت.

وما إن وصل بنو إسرائيل إلى شاطئ البحر حتى يئسوا وظنُّوا أنَّها ساعة هلاكهم، إلَّا أن موسى طمأنهم أنَّهم ناجون ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]. وأوحى الله إلى موسى ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63].

وما إن وصل فرعون إلى شاطئ البحر ورأى ما رأى من انشقاق البحر، حتى أخذته العزَّة بالإثم، وسار وراء موسى ومن معه وهو يحسب أنَّه ناج.

وإذا البحر ينطبق عليه، ولمَّا أدركه الغرق وأيقن بالهلاك أعلن إيمانه، ولكن هيهات. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90-92].

اتخاذ العجل:

بعد أن خرج موسى ببني إسرائيل من أرض مصر وغرق فرعون فرح القوم فرحاً شديداً بنجاتهم من ذلّ العبودية والإهانة التي لاقوها في مصر، وفي طريقهم رأوا قوماً يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه فغضب عليهم ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ(1) مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: 138 - 140].

فلما تركهم موسى وذهب لمناجاة ربّه بأمر من الله، ترك فيهم أخاه هارون وقال لهم بأنَّ غيبته لا تزيد على ثلاثين يوماً.

وأمر الله عز وجل موسى أن يصوم ثلاثين يوماً، ثم يتطَّهر ويطهِّر ثيابه، ويأتي طور سيناء ليكلِّمه ويعطيه الكتاب المنزل عليه أي: التوراة. وبعد أن صام ثلاثين يوماً، صعد الجبل ولكنه أنكر رائحة فمه، فتسوَّك بعود خرنوب. فقالت له الملائكة: إنَّا كنَّا نشمُّ من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك، فأوحى الله تعالى إليه: أن صم عشرة أيام أخر، وقال له: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك؟!.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

---

(1) متبر ما هم فيه: مدمَّر ومُهلك ما هم فيه.

وهناك في جبل الطور وفي لذَّة المناجاة بين الكليم وربِّه، طلب موسى رؤية الجبَّار، ولم يدر أن الأجسام لا تتحمل رؤيته ﷻ.

ومع ذلك أعلمه الباري سبحانه أنَّه سيتجلَّى للجبل ليُري عجز الإنسان في هذه الحياة عن رؤية الله. فانهدَّ الجبل وصُعِقَ موسى وسقط مغشيًا عليه. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

ماذا كان من أمر قومه حينما طالت غيبته؟

بعد أن مَرَّ اليوم الثلاثون، ولم يعد موسى إلى قومه، تاقت أنفسهم إلى الوثنيَّة. وجاءهم رجل يقال له، السامريُّ، فأخذ من الحليِّ التي حملها القوم من المصريِّين قبل مغادرتهم أرض مصر، وصنع لهم عجلاً جسداً يُحدِثُ صوتاً عندما تهب الريح كصوت العجل العاديِّ، وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى. ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88].

وسعى إليهم هارون وأراد ردَّهم عن عبادة العجل، وأفهمهم أنَّهم فُتنوا بهذا العجل، وجَهِدَ أن يردَّهم فلم يفلح، ولم يصغوا إليه. وقالوا له: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 91].

أما موسى، فبعد أن انقضت الأيام الأربعون، تسلَّم كتاب التوراة المكتوب في الألواح، والتي تنفع القوم بما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم. ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

وبعد أن أخذ الألواح وهَمَّ بالرجوع إلى قومه، أخبره الله ماذا أحدث قومه في غيبته، فذهب إليهم وقد تملّكه الغضب. وما إن رأى أخاه هارون - وكان أخاه لأمّه - حتى ألقى الألواح وأخذ برأسه ولامه على ما كان من فعل قومه في غيابه، وكيف أنّه لم يمنعهم.

وحين بَيَّن هارون لأخيه موسى عذره، وأنّه عمل جهده في قومه، ولكنهم لم يصغوا لقوله. ولو أنّه قام بقتال من ارتدَّ، لكان ذلك سبباً للفرقة بين قومه، وخشي هارون أن يكون ذلك سبباً لغضب موسى.

واستغفر موسى لنفسه ولأخيه، إن كان قد قصَّر في نهي القوم عن فعلهم في عبادتهم للعجل. ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: 150-151].

وسأل موسى من قام بهذا العمل، وأُخبر بأنه السامريُّ، فذهب إليه و﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ[1] فَنَبَذْتُهَا[2] وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: 95-97].

---

(1) فقبضت قبضة من أثر الرسول: فأخذت قبضة من التراب من أثر فرس جبريل، حين جاء لإهلاك فرعون بالغرق.

(2) فنبذتها: فطرحتها.

وهذا المشهد كان أمام القوم حيث جاء بالعجل وحَرَّقَه وأرداه في البحر بشدّة، حتى لم يعد له أي أثر. وقال موسى لقومه: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98].

ثم إنّ الله أوحى إلى موسى أنّ توبة بني إسرائيل تكون: بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبد العجل. وعبّر بلفظ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 54] أي: جماعتكم، لأنَّ المجتمع واحد.

اختار سبعين رجلاً لمشاهدة الوحي:

طلب بنو إسرائيل بيِّنة على صدق موسى في دعواه بأنَّه كليم الله، حينما أتاهم بالتوراة لتنفيذ ما فيها من أحكام. واختار من خيرة بني إسرائيل سبعين رجلاً يرافقونه إلى جبل الطور.

وما إن وصل هؤلاء، حتى طلبوا من موسى أنَّهم لا يؤمنون بدعواه حتى يروا الله تعالى رؤية العين. حينئذٍ نزلت عليهم صاعقة من السماء فأهلكتهم. ثم منَّ الله عليهم بأن أحياهم لعلَّهم يستغفرون ربهم ويشكرونه على نعمه عليهم. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 55-56].

والفرق بين طلب رؤية موسى لله تعالى وطلب رؤية بني إسرائيل لربِّ العزَّة، أن موسى طلب الرؤية شوقاً لربِّه، بينما طلبها بنو إسرائيل برهاناً ليصدِّقوا بدعوة موسى أي: تعجيزاً.

وشتان ما بين الاثنين!...

محنة القتال والتيه:

ذكّر موسى بني إسرائيل بفضل الله عليهم إذ نجاهم من ظلم فرعون وجعلهم أحراراً، وجعل فيهم الكثير من الأنبياء.

وذات يوم أمر الله موسى أن يدخل مع قومه الأرض المقدّسة - أي أرض فلسطين - بعد أن يقاتلوا سكانها من العماليق والجبابرة، وقد وعدهم الله بنصره لهم عندما يقاتلون في سبيله صفًّا واحداً.

فهل امتثل هؤلاء لأمر الله تعالى؟!.

بالطبع لا، لأنّهم خافوا وجبنوا وتخاذلوا. ولمّا أمرهم موسى بتنفيذ أمر الله قالوا له: إن في هذه الأرض قوماً من العماليق الجبابرة، وليس لنا قدرة على قتالهم. فلا نريد أن نقاتلهم. فإن خرجوا من هذه الأرض سندخلها بالسلم.

فما كان من رجلين منهم رغبةً بتنفيذ أمر الله بالقتال إلا أن قالا لقومهم: إذا دخلتم الأرض المقدّسة بغتة على هؤلاء الجبابرة وأنتم مؤمنون بنصر الله لكم، ستكون لكم الغلبة والنصرالذي وعدكم الله به.

ولكنهم تقاعسوا وتخاذلوا أكثر من ذي قبل. وقالوا لموسى: يا موسى، لا نريد القتال فاذهب وقاتل أنت وربُّك ونحن بانتظارك هنا.

فما كان من موسى إلا أن اعتذر لربه بأنه لا يملك إلا نفسه وأخيه هارون لتنفيذ أمر الله.

فما كان من الله إلا أن عاقبهم وجعلهم يتيهون في الصحراء أربعين عاماً. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ

أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: 20-26].

وتاهوا في الصحراء وفي مدة التيه، ومن رحمة الله بهم أن ظللهم بالغمام وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57].

وشَكَوْا إلى موسى قلّة الماء، فدعا موسى ربَّه واستسقى لهم. فأوحى الله إليه أن يضرب بعصاه حجراً معيناً تنفجر منه الماء عيوناً بعدد الأسباط، ليعلم كل سبط أن له عيناً يشرب منها. ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60].

قصّة البقرة:

حدث أن كان في بني إسرائيل أحد الأغنياء ولم يكن له ذرِّيَّة ترثه. وجاءه يوماً وريثه من أقاربه فقتله طمعاً في استعجال الميراث. ومن العادة أن من يقتل أحداً ويكون وريثه يُحرم من الميراث. فما كان من قاتله إلَّا أن حمل القتيل وألقاه أمام منزل أحد اليهود ليدّعي أنَّه قاتله، ويستطيع بهذه الحالة أن يطالب بأخذ مال القتيل.

وفي الصباح ذهب القاتل الحقيقيّ إلى بيت اليهوديّ وادَّعى أنَّه قاتله وأنكر اليهوديُّ المتهم ذلك. وقامت الضجَّة في بني إسرائيل ورأى الجميع أن يذهبوا إلى نبيَّ الله موسى ليحلَّ لهم هذه المشكلة. فما كان من موسى إلا أن توجَّه إلى ربِّه ليكشف لهؤلاء عن القاتل الحقيقي.

فأوحى الله إليه أن يأمر قومه بأن يأتوا ببقرة ويذبحوها، ويضربوا بجزء منها القتيل فينطقه الله، ويقول من قتله، ثم يعود ميتاً كما كان بقدرة القادر.

وأمرهم بذلك. ولكنهم قالوا لموسى: أتهزأ بنا ؟ !.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ[1] وَلَا بِكْرٌ[2] عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ[3] فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: 68].

---

(1) لا فارض: غير مسنة.
(2) ولا بكر: ليست صغيرة.
(3) عوان بين ذلك: لا كبيرة ولا صغيرة.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ[1] تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا[2]﴾ [البقرة :69-71].

أي: إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرُّ من ينظر إليها، لم تذلَّل بالعمل ولم تستعمل لحراثة الأرض، وإنها سليمة الأعضاء، وإنها ذات لون واحد هو اللون الأصفر ولا يوجد بها لون آخر.

فجاءوا بها وانصاعوا لأمر الله وضربوا المقتول ببعضها كما أمرهم الله، وتكلم القاتل عمن قتله. ولو أنَّهم انصاعوا لأمر الله من البدء وجاءوا بأي بقرة لكان الأمر تمَّ بسهولة ولكنَّهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: 72-73].

وبدلاً من أن تنفطر قلوبهم لله فإنَّ قلوبهم قست لدرجة أنَّها أصبحت أقسى من الحجارة، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

(1) لا ذلول: غير مذللة للعمل.
(2) لا شية فيها: بريئة من العيوب.

قصّة قارون:

كان قارون من شيعة موسى وكان متكبِّراً مغروراً. وقد آتاه الله مالاً وجاهاً وعلماً، حتى إنَّ كنوز ماله لا يُستطاع حصرها، وبلغ أن مفاتيح كنوزه يصعب حملها حتى على المجموعة من الرجال.

وفرح قارون بما أوتي من الكنوز، ولكن فرحه كان فرحاً مذموماً ممقوتاً أدَّى إلى هلاكه.

وبخل قارون وأصابه الشح في صرف بعض ماله على المحتاجين، وكان يتكبَّر على الناس بما أوتي من المال.

ولما نصحه قومه وقالوا له: إنَّ المال هو مال الله يؤتيه من يشاء من خلقه، وعلى الغني أن يساعد المحتاجين ويبغي الخير في الأرض، وأنَّ الله يخلف على من أحسن لله بالخير ويبارك له في ماله.

ولكنَّه لم يمتثل لنصحهم، و﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78]. فنسب العلم لنفسه في جلب هذا المال وأنكر نعمة الله سبحانه الذي أنعم عليه فيه.

وخرج على قومه يوماً وهو في أبهى زينة متكبِّراً بطراً، معجباً بنفسه مستعلياً على أهله وأبناء بلده.

وكانت نظرة الناس له ولماله، تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قال ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: 79]. وهم الجهلة بأمور الآخرة وهم الذين نظروا إلى الدنيا نظرة حياة دائمة.

أما القسم الثاني: فهم من أيقن أن الدنيا ما هي إلا ممرٌّ، وأن الدار الآخرة هي المقرُّ. قاموا ونصحوا قارون وقالوا له:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص: 76-77].

ولم يكتف هؤلاء بنصح قارون؛ بل إنَّهم وجَّهوا كلامهم للجهلة من بني قومهم الذين تَمَنَّوْا أن يُؤْتَوْا من المال مثل ما أوتي قارون، وابتدروهم بالنصيحة، وقالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 80].

ولكن قارون ظلَّ على غيه فلم يلبث إلا قليلاً، حتى خسف الله به وبداره الأرض؛ لأنه أبى أن يكون خيِّراً فيها وابتغى سبيل المفسدين. عندئذٍ نظر الذين تَمَنَّوْا أن يُؤْتَوْا من المال مثل ما أوتي قارون إلى ما حلَّ به وبداره، فأيقنوا للحق بأنَّه مَنَّ عليهم، فلم يخسف بهم الأرض كما خسف بقارون، وأنَّ ما أعطاهم الله من النِّعَم، هو خير لهم، وإن كان قليلاً من المال أو نحو ذلك. ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ[1] لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: 82].

---

(1) ويكأنه: وَيْ: كلمة تعجب، ويقال: وَيْ كأنَّه، ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾. وقال بعضهم: أما ترى أنَّه لا يفلح الكافرون. وقال بعض النحويين: معناه: وَيْلَكَ أنه لا يفلح الكافرون، فحذف اللام وبقي وَيْك.

قصّة موسى والعبد الصّالح:

التقى يوماً موسى بعدد من بني إسرائيل، وجلس لنصحهم. وكان كلما سأله أحدهم سؤال يجيبه عن سؤاله وتعجب الناس من سعة علمه .

وما أن انفضَّ المجلس، حتى أتاه أحدهم وسأله قائلاً: يا نبيَّ الله، من أعلم أهل الأرض؟

قال موسى: أنا. وكان يظنُّ أنَّه أعلم من في الأرض؛ لأنَّه كليم الله.

وإذا بالحقِّ يعاتبه؛ لأنه لم ينسب العلم إلى خالقه ومولاه. وأخبره أنَّ هناك عبداً صالحاً أعلم منه. ومن صفته أنَّه موجود عند ملتقى البحرين.

هنا عزم موسى على لقائه، فأوحى الله إليه أن يأخذ معه سمكة كبيرة مملحة، يقال لها في القرآن الكريم: حوت. وأنَّ علامة وجود هذا العبد الصالح، أنَّ الحوت الميت تدبُّ فيه الحياة، إذا ما اقترب موسى من مكانه على شاطئ البحر، فينسلُّ الحوت ويقفز إلى ماء البحر.

وسافر موسى برفقة فتاه يوشع بن نون، الذي كلَّفه بحمل السمكة والزاد. وسافر الاثنان على شاطئ البحر بالاتِّجاه الذي أوحاه الله له. وكانا كلما حل عليهما التعب، استراحا وتزوَّدا بالطعام لمعاودة السفر. ومشيا ما شاء الله لهما ذلك.

وحين اقتربا من المكان المحدَّد، إذا بالتعب والجوع قد أخذ من موسى كل مأخذ فنام. وإذا بالحوت يتحرَّك وينزل إلى الماء بقدرة القادر سبحانه. ونظر يوشع بن نون إلى موسى فوجده نائماً. وقال في نفسه: عندما يستيقظ موسى سأخبره بأمر الحوت.

ولما أفاق نسي يوشع بن نون أن يخبر موسى واستأنفا السير. ولما بلغ من موسى الجوع كل مأخذ قال لفتاه: ائتنا بالغداء بعد أن أتعبنا السفر المتواصل. ساعتئذٍ تذكَّر يوشع بن نون أمر الحوت، وأخبر موسى أنَّه نزل البحر عندما كانا قرب الصخرة، وأنَّ الشيطان قد أنساه أمره.

ورجعا إلى حيث أشار فتى موسى، وهو العلامة بمكان العبد الصالح. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا[1] نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: 60 - 64].

وما إن وصلا إلى حيث كانا قرب الصخرة حتى وجدا العبد الصالح ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

اقتربا منه وسلما عليه و﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

(1) فلما بلغا مجمع بينهما: ملتقى البحرين.

إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 66-82].

العبر من قصّة موسى :

يؤخذ من قصة موسى عِبَرٌ، منها:

1 - أنَّ الله إذا أراد أمراً أمضاه كما يريد هو، فقدرته مطلقة.

2 - أنَّ على العاقل أن يتَّخذ الأسباب التي تنجي بحسب الظنّ. فأمُّ

موسى وضعته في صندوق، وسوَّت الصندوق وطلته بالقار (الزفت) حتى لا يدخله الماء. وأرسلت أخته لمراقبة الصندوق لتعرف ما سيحدث له.

3 - أن حرَّم عليه المراضع وأعاده إلى أمِّه كي تقرَّ عينها به، بعد أن ألهمها الله أن ترميه وأنَّه سيعيده إليها.

4 - أنَّ على الإنسان أن يصلح بين المتخاصمين، ويحرص على ألَّا يُسيء لواحد منهم.

5 - إذا أذنب الإنسان أمراً خطأً فعليه أن يبادر بالتوبة.

6 - المؤمنون يتحابُّون وإن لم يتعارفوا. فهذا مؤمن آل فرعون ينصح موسى بالهرب.

7 - مساعدة المحتاج واجب وإن كان الإنسان متعباً مجهوداً جائعاً.

8 - يجوز عرض البنت للزواج إذا ظُنَّ بالرجل الصلاح.

9 - يجوز أن يكون المهر (في شريعة موسى منفعة).

10 - يجب الوفاء بالعقود والعهود كما كان من موسى حينما وفى بالعقد الذي عقده مع والد زوجته.

11 - لا يدري الإنسان ما خُبِّئ له من الغيب مهما كان قريباً من ربِّه.

12 - إن الله يختار لرسالته الأقوياء الصالحين، ويجيب طلبهم.

13 - عانى موسى مع فرعون وقومه معاناة شديدة وتَحَمَّلَ ما تنوء الجبال بحمله.

14 - قوم موسى أغبياء، عميان عن الحقِّ، فقد رأوا ما أصاب آل فرعون من الآيات التي لم تصبهم، ومع ذلك لما خرجوا من البحر أرادوا أن يعبدوا الأصنام.

15 – إنَّ الأعمى لا يبصر الحق مهما أوتيت له الأدلَّة.

16 – يجب أن يتحلَّى كل داعية بخلق ولطف ولين، حينما يريد أن يتكلَّم مع الآخرين ويدعوهم إلى الإسلام. وأنَّ الله أمر موسى وأخاه هارون أن يستعملا لين الكلام مع فرعون، لأنَّ الدعوة إلى الله لا تكون بالغلظة؛ بل تكون باللين.

17 – إنَّ السحرة اتَّفقوا مع فرعون إن كانت لهم الغلبة سيكون لهم المال الوفير والقرب من المَلِك، وهذا غاية ما يتمنَّاه كثير من الناس، ولكن عندما رأوا معجزة العصا وانقلابها حيَّة، أيقنوا للحقِّ، فتركوا عرض الدنيا بما فيها، وسجدوا لربِّ العالمين. فكانوا أوَّل أمرهم سحرة مهرة، وفي آخر أمرهم شهداء بررة. مما يدعونا إلى وقفة تأمُّل مع كل إنسان. فربَّما كانت التوبة صادرة من أناس ليسوا أسوياء فيما مضى من حياتهم، وإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده. المهم أن تكون التوبة قبل الموت، وكلما اقترب المرء من ربِّه وهو شاب، فإنَّ الله جلَّ ذكره يباهي به الملائكة.

18 – إنَّ الله يبتلي الناس، ليهديهم إلى الحقِّ. وما كان ابتلاء قوم فرعون بما ابتلاهم به إلا كي يعودوا إلى الله، لأنَّه كما هو معروف فإنَّ عدداً من الناس يشعرون بعظمة الخالق عند مصابهم، فيتوبوا ويعودوا إلى صراط الله المستقيم.

19 – إنَّ الله لم يقبل توبة فرعون أثناء غرقه، لأن توبته فات وقتها بانتهاء حياته.

20 – إنَّ الله يهلك كل جبار متكبر.

ويؤخذ من صفات بني إسرائيل:

1 - أنَّ من صفاتهم أنَّهم جحدوا نعمة ربِّهم، وما إن تأخر موسى عنهم عشرة أيام حتى عبدوا العجل.

2 - أنَّ من يفتن الناس ويفسد في الأرض له أشدُّ العذاب كما لقي السامريُّ.

3 - أن بني إسرائيل طلبوا طلباً لا ينبغي للبشر أن يطلبوه وهو رؤية الله.

4 - أنَّ من صفات بني إسرائيل الجُبْن والتقاعس عن تنفيذ أمر الله، وذلك يظهر من قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

5 - أنَّ عقاب الله يكون بعد كلِّ أمر أمرهم به، وعلى سبيل المثال لا الحصر: أنَّ تقاعسهم عن القتال كان حرمانهم من دخول الأرض المقدَّسة، وأن يتيهوا في الصحراء أربعين سنة.

6 - أنَّ قصَّة البقرة تكشف لنا ما عليه بنو إسرائيل من شدَّة روح المجادلة والمراوغة، وأنَّهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم.

ويؤخذ من قصَّة قارون قريب موسى عدَّة أمور منها:

أ - أنَّ من أوتي السلطان والجاه والقوَّة والمال يجب عليه: مراعاة الآخرين، والشعور بشعورهم، وبأنَّ لهم مكانة وشأناً.

ب - أن من يؤتى المال، عليه بصرف ماله باعتدال مع عدم الإسراف.

ت - أنَّ المال والجاه والسلطان هبة من الله، وإحسان منه، يؤتيه من يشاء من خلقه.

ث - أنَّ الله بيده الخير. فربَّما يؤتى الإنسان الفقر أو المرض، ويقول: لماذا لم يعطني الله مثل ما أعطى فلان؟!. ولو نظر في قصَّة قارون لرأى الجواب: إنّ قارون بما أوتي من سلطان لم يستعمله إلَّا في طريق الشرّ، فكان وبالاً عليه، وأدَّى إلى هلاكه، وإن الناس الذين تَمَنَّوْا ما أوتي قارون، ورأوا ما حصل له، أيقنوا أنَّ ما أصابهم من قلَّة المال كان خيراً لهم.

ج - أنَّ كفَّة الإيمان والعمل والصالح ترجح على كفة المال والجاه والسلطان والقوة في ميزان الله ، وميزان العاقلين من البشر.

ح - أنَّ أهل العلم والصلاح، هم الذين يقدِّمون النصيحة لعباد الله ولا يخشون فيها لومة لائم، ويصبرون على الإيذاء وعلى أداء الواجب.

خ - إنَّ توسيع الرزق أو تضييقه على الناس، لا يتعلَّق بإيمان أو كفر، فالله يعطي من يشاء، ويمنع عمّن يشاء من عباده، وذلك لعدل منه سبحانه وحكمة يعلمها.

د - أن نتعظ من أخطاء الآخرين.

ذ - أنَّ الله تعالى: «يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب».

ر - أنَّ القصَّة تشير إلى المساهمة في بناء المجتمع، ومد يد العون لإقامة الحياة الكريمة على أساس العدل والمساواة. فعلى الغني أن يعطي الفقير، والقوي يأخذ بيد الضعيف، والعالم يعلِّم ويرشد الجاهل والضالَّ.

ز - أنَّ كنوز قارون مع كثرتها، لم تُغْنِ عنه من عذاب الله شيئاً، لأنَّه لم يستعمل هذا المال بالطريق المشروعة. ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ

﴿وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: 39].

ويؤخذ من قصَّة موسى والعبد الصالح عدة أمور منها:

أ - أنَّ الإنسان مهما أوتي من العلم فإنَّ هناك من هو أعلم منه.

ب - أنَّ هناك أموراً ربما لا نفهم تفسيرها، ولكن الذي قام بها له مبرِّراته والأجدى أن نحيلها على الله.

ت - أن كل إنسان يستطيع أن يبدع في مجال عمله، ولكن لا يستطيع أن يكون عالماً بكل شيء، لأن فوق كل ذي علم عليم.

obeikandl.com